اللآلي

من كلام الغزالي

د. يحيى مصري

تصميم مطبوعات ورقية والكترونية

اللآلي

من كلام الغزالي

د. يحيى مصري

جميع الحقوق محفوظة للناشر

اسم الكتاب: اللآلي
من كلام الغزالي
المؤلف: د. يحيى مصري
القطع: ١٧ × ٢٤
عدد الصفحات: ٧٠
السمة: نسخة إلكترونية
إصدار: المؤلف
١٤٤٢هـ - ٢٠٢١م

اللآلي

من كلام الغزالي

د. يحيى مصري

الإهداء

إلى الشباب الطموح، الذي لم يفقد الأمل بدينه، فلا تقف في وجهه العراقيل، ولا تمنع تقدّمه السدود في مسيرته إلى التنوير لأجل الإحياء والبناء، يرى مستقبلاً مشرقاً بنور الإيمان متجدداً باتباع المنهج الرباني والسنة النبوية الشريفة.

مُقَدِّمَة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، نبينا محمد، وعلى آله الطيبين، وصحبه الطاهرين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد، فإن أمتنا أمة ولّادة، لا يخبو فيها سراج إلا ويشع منها مصباح، وكلهم راسخون في العلم يأخذونه كابرا عن كابر، متفتحة بصائرهم فيرون ما لا يرى غيرهم، وكما نشأت المدارس الفقهية نشأت المدارس الفكرية التي أبرزت لنا أعلاماً ما زالت نظراتهم وفِكَرُهم ومقولاتهم نجوماً تضيء للسارين، فبهم يقتدون كما بالنجم يهتدون في قوله تعالى: ﴿وعلامات وبالنجم هم يهتدون﴾[1]، وقد أبرز عصرنا عدداً من المفكرين، أمثال أبي الأعلى المودودي

[1] سورة النحل: ١٦.

ومالك بن نبي ومحمد الغزالي، وغيرهم من أعلام الفكر في عصرنا. وعند المفكر محمد الغزالي توقف الدكتور يحيى مصري طويلاً، وغاص في بحر كتبه ومحاضراته، ورأى أن من حق الغزالي على أمتنا أن تنظر في نتاج هذا المفكر العظيم، كما أن من حقه على أمثال د. يحيى أن يسهلوا الأمر لجيل المعلوماتية الذي أهمل الكتب الأمهات وانحاز إلى قراءة المقالة القصيرة وبات يختار الفكرة الدسمة التي تقدَّم له في «كبسولة» تختصر الفوائد، مراعاة لوقته وطبعه وطبيعة عصره الذي جعله يمل العكوف على الكتب الضخمة والكثيرة، فخرج لنا الدكتور يحيى بدرر مكنونة ولآلئ منتخبة، جمعها في كتاب أسماه «اللآلي من كلام الغزالي»، وشرّفني الله تعالى بأن فوضني مؤلف الكتاب أستاذي د. يحيى بتنسيق الكتاب وضبط هوامشه وإحالات شواهده، ونشره إلكترونياً مجاناً، ليكون متاحاً للجميع، وذلك لأجل الإفادة والنفع العام، بعيداً عن الانتفاع المالي الذي منع كثيرين من قراءة كتب تستحق القراءة وتُعجز أثمانُها طلابَ العلم والمعرفة.

مصطفى الزايد

الإثنين/ ٣ رجب/ ١٤٤٢هـ الموافق ٢٠٢١م

ـ ليس الثراء دليل قبول إلهي أو شرف نفسي، وليس البؤس دليل غضب إلهي أو غباء عقلي. إن الله يبتلي الناس بالخير والشر، والبأساء والضراء، والمرء بعد ذلك هو صانع مستقبله بأسلوب تصرفه ونهجه في معالجة ما أصابه.

ـ هناك رغبة تموت في مكانها، وهناك رغبة تتحول إلى عزيمة وتصميم، وهناك إرادة يحول دون تنفيذها عائق خارجي كاللص الذي قرر سرقة محل، فلما ذهب إليه وجد رجال الشرطة أمامه! إنه لم يمنعه من إتمام جريمته إلا الحراس.

ـ هناك رذائل لا يطلع عليها الناس كالحسد والرياء والكبر، والله سبحانه وتعالى يؤاخذ بها وإن كانت مخبوءة في ضمير صاحبها.

ـ إن من خصائص النفس العربية شدة إحساسها بميلها وجنوحها للعظمة، وعشقها للرياسة، وتطلعها إلى السلطة بأية وسيلة. ولذلك كان أول ما نبه إليه الرسول ﷺ السمع والطاعة ولو كان الحاكم عبداً حبشياً... وإنّ جرثومة هذه الخصائص لا يقتلها إلا التجرد والإخلاص وتقوى الله عز وجل. وتأملوا في ما رواه البخاري ومسلم عن ابن عباس، قال: قام فينا رسول الله ﷺ بموعظة فقال:

﴿يا أيها الناس إنكم محشورون إلى الله تعالى حفاة عراة غرلاً (غير مختونين) ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَا ۚ إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾[٢] ألا وإنه سيجاء برجال من أمتي فيؤخذ بهم ذات الشمال فأقول: يا رب أصحابي! فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك، فأقول كما قال العبد الصالح عيسى، عليه السلام: ﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ۝ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾[٣].﴾[٤]

ـ إن الابتداع في الدين ظلم وجهل وغرور، ذلك بأن التشريع حق الله وحده، ولا مكان للبشر فيه. أما الابتداع في شؤون الدنيا فهو واجب؛ لأننا لن نحسن الدفاع عن ديننا إلا بفهم هذا الواجب وإتقانه، والعجب كل العجب من أولئك المتخلفين في الدنيا لطول جمودهم، ومن المتخلفين في الآخرة لكثرة مبتدعاتهم!

ـ ليست الأمانة خلقاً خاصاً، بل الأمانة جهاز كامل مشرف على ما دق جله من أعمال الناس. والمؤمن أمين على الدماء والأموال

---

[٢] سورة الأنبياء: ١٠٤.
[٣] سورة المائدة: ١١٧، ١١٨.
[٤] صحيح البخاري، برقم ٣٤٤٧. وصحيح مسلم، برقم ٢٨٦٠.

والأعراض، وأمين على ما يوكل إليه وحمايته من الغش والنقص، ومع قيام الأمانة في المجتمع المسلم، تستقر في جذره ثم تتفرع في شؤونه كلها.

ـ لقد حذر القرآن أتباعه من جفاء القلوب وسوء علاقتها بالله، ويحصل ذلك من تحول العبادات إلى عادات، والتلاوة إلى شقشقة لسان، والأذكار إلى أوراد ميتة.

ولما كان أهل الكتاب الأولون قد أصبحوا بهذه العلل على مر الأيام فقد خيفت عدواهم وانسياق المسلمين وراءهم، فقال سبحانه: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾[٥]، ومع خور الإيمان تقل الأمانات، ولا تزال تقل حتى تصبح أثراً بعد عين... وليست الأمانة التي نتحدث عنها وديعة مالية جحدها خائن،! إن صور الأمانة كثيرة، فالكلمة تقولها لصاحب لك ثم تلتفت أمانة. والوظيفة تتطلب الكفء ليشغلها أمانة، وراتبك الذي لا يجوز أن يزيد بطريقة ما أمانة. قال الشاعر:

---

[٥] سورة الحديد: ١٦.

سألتُ الناسَ عن خِلٍّ وفيٍّ فقالوا ما إلى هذا سبيلُ

تمسَّكْ إن ظفِرتَ بذيل حُرّ فإنّ الحُرّ في الدنيا قليلُ[٦]

- إن الأمة الحريصة على رسالتها تعرف كيف تخدم دينها، وذلك عندما تفهم ذلك الدين فهماً عميقاً، لأنه قد أَصاب الإسلامَ ظلمٌ شديد من كَثرة ما نسب إليه من محدثات هو بريء منها، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: ﴿مَنْ أَحْدَثَ فِيْ أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ﴾[٧] وخُطّ تحت «ما ليس منه»؛ لأنه إذا كان من الدين ومتفقاً مع مقاصد الشريعة كالأقيسة والمصالح المرسلة والتعازير المختلفة وما بيّنه العلماء الراسخون فإن كل هذا غير مردود.

- إن الدعوة الإسلامية في حاجة إلى رجال يميزون بين السنن الحسنة والمبتدعات، حتى لا يكون هناك خلط بين السليم والمزيف.

- إن رفع المستوى العلمي للأمة كله فريضة موزعة على الذكور والإناث، ومن أراد الله رفع درجته يسّر له المزيد من العلم. وفي

---

[٦] البيتان لأبي إسحق الشيرازي.
[٧] صحيح البخاري، برقم ٢٦٩٧.

الحديث: ﴿مَن يُرِدِ اللَّهُ به خَيْرًا يُفَقِّهْهُ في الدِّينِ﴾[٨]، والفقيه يجتهد في طاعة الله، ويجتهد في تفقيه الناس حوله؛ ابتغاء وجه الله.

ـ قد يسرف بعض الناس في إحدى الطاعات على حساب التقصير في طاعة أخرى. والفرائض المكتوبة تشبه الوجبات التي يتغذى بها البدن، لا بد من احتوائها على عناصر منوعة. وقد يمرض الجسم؛ لأنه استكثر من عنصر وحرم من عنصر آخر.

ـ إنه عندما يكون الكفر أقدر على قيادة الحياة من الإيمان فقد ضاع الدين، ولم يغن ركوع أو سجود، إن التدين الجامح في ناحية والمنكمش في أخرى يفقد الميزان الضابط للحقائق والذي أشارت إليه الآية الكريمة: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾[٩].

ـ إن الغلاة والمتطرفين لا يعدلون مع أنفسهم ولا مع الناس، والخلل في أحكامهم شديد الحيف على الدماء والأعراض، ثم إن الإسراف في بعض العبادات يتبعه غالباً قصور في فهم الدنيا وتطويع علومها لخدمة الدين، وذلك ما جعل الخوارج قديماً ومن شابههم في

---

[٨] صحيح البخاري، برقم ٧٣١٢.
[٩] سورة الحديد: ٢٥.

عصرنا الحالي أبعد الناس عن الطب والهندسة والاقتصاد والسياسة، ولذلك لا تصح لهم السلطة ولا بقيت لهم دولة، بل عجَزوا عن تكوين بيوت سعيدة.

- إن الحياة ليست لوناً واحداً؛ فإن الجو يصفو ويغيم، والصحة تقوى وتضعف، والأيام تقبل وتدبر، والمهم ألا تتعثر الخُطا مع بعد الغاية ووعثاء الطريق. إن الكدر طبيعة الدنيا، وإن المصابرة والتحمل طبيعة أهل الإيمان، والرجولة مبنية على الصبر والتماسك. أما الجزع والاسترخاء فلا يقوم عليهما خلق ولا يوصل بهما إلى نجاح. ولولا الصبرُ الذي يقهر الضجر ويطرد السآمة ما قطع العقلاء مرحلة، وما بلغوا مرادهم.

- ذكر أحمد بن حنبل في قصة رقيقة أن نفراً ثلاثة من بني عذرة أسلموا عند النبي ﷺ، وكانوا فقراء، فقال رسول الله: من يكفيهم؟ قال طلحة رضي الله: أنا، فكانوا في كفالته[١٠].

- هناك سورة تستغرق الصفحات الكثيرة، وهناك سورة من سطر واحد، وقد تكون سورة الإخلاص القصيرة أفضل من غيرها؛ لما

---

[١٠] مسند أحمد بن حنبل، برقم ١٤١٧.

تضمنته من توحيد الله، فلنعمل لله بإخلاص ولننظر منه وحدة الفضل، فهو المقدم والمؤخر ﴿إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ﴾[١١].

ـ من الناس من يعرف الحق ولكن يقدم عليه مصلحته وهواه، وإن الله قد يعذر أصحاب فكر محدود، ولكنه لا يعذر أصحاب هوى غالب ونية مغشوشة، ومن حراس الشعائر الدينية من يستعبدهم الشح المطاع والأثرة الجامحة، والله أعلم بسرائر الناس ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ﴾[١٢]، وما أظن الآخرة جُحدت في عصر كما جُحدت في عصرنا، ولا الدنيا عُبدت كما عُبدت في أيامنا ﴿أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ ۞ وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ﴾[١٣].

ـ التقوى ثمرة عبادة مكتملة ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[١٤].

كيف تتم التقوى من غير عبادة الله؟ كيف يُبنى صرح من غير لبنات وأدوات وأثاث ورياش؟

---

[١١] سورة آل عمران: ٧٣.
[١٢] سورة البقرة: ٢٢٠.
[١٣] سورة العاديات: ٩، ١٠.
[١٤] سورة البقرة: ٢١.

- إن الأمة التي تشيع فيها الكبائر والمظالم والآثام ليس لها عند الله وجاهة، ولا ينتظر لها غدٌ كريم. قال تعالى للمسلمين:

﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾[١٥].

- إن من أساء وهو قريب من الوحي أشد جرماً ممن أساء وهو جاهل بعيد عنه.

- إن الناس يحبون أن ترتفع مكانتهم من دون جهد يُبذل أو ثمن يُدفع، ولهذا يقول أحدهم أنا من أسرة فلان! أو من دولة كذا! يحسب أنه بذلك كسَب مجداً أو نال وجاهة. وهذه سيرة لا تصلح بها دنيا ولا آخرة ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾[١٦].

وفي عصرنا هذا يحرص بعضهم على الرياسة والجوائز وشارات السيارة، وما علموا أن العظمة الحقيقية إن هي إلا نفس زاكية،

---

[١٥] سورة النساء: ١٢٣.
[١٦] سورة المؤمنون: ١٠١.

وعقل سليم، ورباط وثيق بالله جل شأنه. والمظهر الفخم على كيان أجوف كالثوب الجميل على جلد أجرب أو بدن مجذوم.

ـ إن الفقر الثقافي أسوأ من الفقر المالي. والشعب الذي يعاني الغباء والتخلف لا يصلح للمعالي ولا يستطيع حمل رسالة كبيرة.

ـ إن المسلمين اليوم ـ من الناحية المدنية ـ يأكلون ما يزرعه غيرهم ويلبسون ما ينسجه. ومن الناحية الخلقية لا يصونون الأمانات ولا يضبطون الأحاديث ولا يرعون المواثيق، ولهم من هذا التخلف المعيب نشاط ملحوظ في القضايا الغيبية والمجادلات النظرية، حتى اضطر أبو حامد الغزالي إلى تأليف كتابه «إلجام العوام عن علم الكلام»، وحتى اضطر ابن تيمية إلى تأليف كتابه «رفع الملام عن الأئمة الأعلام».

ـ العلاقة بالله أساسها الاستقامة، والثوب الفخم على كيان أجوف كالثوب الجميل على جلد أجرب أو بدن مجذوم.

ـ إن نصرة الله صعبة وتحتاج الى التضحية، والنفوس الكبيرة تمضي إلى قدرها وفق ما كتب الله لها، والله يمنح فضله من يشاء.

ـ إن القرآن الكريم حوى كل ما يحتاج إليه النشاط البشري من سداد وهدى، ولا مقنع للعقل إلا في آياته، ولا مصدر لليقين إلا في بيناته.

وإذا كانت الأشياء تمتاز بأضدادها، فإن أي قارئ يستطيع الموازنة بين القرآن وبين كل ما انتسب إليه من كتب إلى السماء، ثم ليقل لنفسه رأيه: أيها أعظم دلالة على الله وتأسيساً لتقواه، والليلة التي نال فيها القرآن ليلة سلام، والسلام غايتنا نحن – المسلمين ـ ولكن: لابد من العدل قبل السلام...

ـ إن معادن الأرض مختلفة، والناس معادن، لأنهم من الأرض يُنشؤون... والإسلام حاسم في أن الله تعالى غافر الذنب وقابل التوب.

ـ الله تعالى يقول: ﴿... وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ﴾[١٧]. إذا كنا في مجال الصناعة المدنية والعسكرية لا ندرس شيئاً عن خواص الحديد، ولا نصوغ منه مدفعاً ولا دبابة، ولا ندفع في اليمِّ بارجة ولا في الجو قاذفة، فهل ننصر الله بهذا العجز؟ وهل نشرف الوحي بتلك السذاجة؟ إن الإيمان في كتابنا فكر في الأرض

---

[١٧] سورة الحديد: ٢٥.

والسماء، ودلائل صدقه مزيد من الفكر في الأرض والسماء ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾[١٨]. فهل المكفوفون عن رؤية الآفاق واستبانة الآيات يستطيعون فقه رسالة ودعمها وتشتيت أعدائها؟ إن تاريخ سلفنا الثقافي يشهد لهم على خِصب عقولهم، فهم ألفوا في فلاحة الأرض، وفي مسار الضوء انعكاساً وانكساراً، وتعلّم الأوربيون منهم ذلك، وكانوا أقل منهم مستوى، والرازي وابن الهيثم وسواهما أكبر شاهد على ذلك. ألا يشعر العرب بالخزي عندما يرون (بني) إسرائيل يسمحون لثمانية آلاف فلسطيني يعملون عندهم ليأكلوا ويطعموا مَن وراءهم من قطاع غزة؟ أتطبيع هذا أم إذلال؟ ومن أحق ببناء الحصون؟ شعب أبيٌّ فلسطيني يكون في إسرائيل؟ أم في بلد عربي؟!

أسـئـلـة

ـ هل زلزلة القدم في الدنيا دليل على رسوخ القدم في الآخرة؟ هل الجهل بأسرار الحياة أثر لتقوى القلوب؟ هل الاستبحار في فروع

---

[١٨] سورة فصلت: ٥٣.

الفقه والاستكثار من نوافل العبادات يشير إلى رفعة الإيمان؟ هل الدين قلة المال ورداءة الحال ورثاثة الهيئة؟

إن القرآن الكريم قال للبشر جميعاً: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ﴾[١٩]...

إن التمكين في الأرض عطاء واسع ورضا من الله كبير ﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ ۚ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَاءُ﴾[٢٠].

ـ إن التفاوت بالغنى والفقر كالتفاوت في شتى المواهب. والملكات ضرب من الاختبار الإنساني العام لحكم كثيرة، والله يختبر بالشيء وضده ﴿وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً﴾[٢١].

حَسَدُوا الفتى إذْ لم ينالوا سَعَيَه فالكُلُّ أعداءٌ له وخصومُ[٢٢]

---

[١٩] سورة الأعراف: ١٠.
[٢٠] سورة يوسف: ٥٦.
[٢١] سورة الأنبياء: ٣٥.
[٢٢] البيت لأبي الأسود الدؤلي.

مقالــة

سورة الإخلاص سطر واحد، وهي تعدل ثلث القرآن؛ لأنها لخصت أصل الاعتقاد عندنا، فالله سبحانه وتعالى ليس كمثله شيء، ويستحيل أن يكون أباً أو ابناً، وهو الصمد؛ أي السيد الذي يقصده كل من في السماوات والأرض، وماذا يملك غيره؟

إن النظام الكوني واحد، تضبطه إرادة واحدة، وتصوغه قدرة واحدة، والذي يشرف على إفرازات الهضم في أمعاء الأحياء هو نفسه الذي يشرف على مسارات الأفلاك في أقاصي الآفاق. وفالق الحب والنوى في الحقول والحدائق هو فالق الإصباح في عالمنا وفالق الشروق والغروب في المجرات التي نراها. إننا بعد إعمال الفكر وإنعام النظر لا نملك إلا أن نقول: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل قدير».

ـ إن قوتنا الخاصة محدودة، فإذا استعنّا بالله أمدنا بقدرة من عنده نستطيع بها النجاح. بل إن قوانا الخاصة عارية لا ندّعي امتلاكها. ماذا نفعل إذا انقطع التفكير؟ ماذا أفعل إذا انطفأ المصباح؛ لأن

التيار انقطع؟ ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم مَّنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِ﴾[٢٣]...

ـ عندما أقود سيارتي أملكها لأني أملك عقلي متوكلاً على خالقي، لكنني لا أملك عقل سائق السيارة القادم من بعيد، ولكنّ للأدعية سراً. قال رسول الله ، ﷺ: ﴿مَنْ قال إذا خرَج مِن بيتِه بسمِ اللهِ توكلْتُ على اللهِ لا حولَ ولا قوةَ إلا باللهِ يُقالُ له كُفِيتَ ووُقِيتَ وتَنَحَّى عنه الشيطانُ﴾[٢٤]. إن القلوب إذا عريت عن اليقين والتوكل خشيت الهباء، وإذا عُمرت بالإيمان والصدق لم تبالِ بشياطين الإنس والجن، وحققت من النتائج ما يثير الدهشة.

ـ إن مال المسلمين الذي جعله الله أمانة عند الحاكمين ليس مغنماً لذوي الأطماع، وكذلك السلطة التي بأيديهم ليست لرفع الوضيع وتقريب الجاهل. إن ذلك كله لإحقاق الحق وإبطال الباطل ودعم الكفء وإبعاد التافه...

ـ أد واجبك، وسل الله ما بقي، فإما أنصفت في الدنيا وإما ارتويت من نعيم الآخرة على سيرتك العادلة.

---

[٢٣] سورة الأنعام: ٤٦.
[٢٤] سنن الترمذي، برقم ٣٤٢٦.

مقالــة

لقد تطلع إلى الإمارة بعض الصحابة الأخيار، ولكن الرسول ﷺ حذرهم منها؛ لأنهم لم يستكملوا أدواتها. جاء عن أبي ذر، رضي الله عنه، أنه قال لرسول الله ﷺ: يا رسول الله، ألا تستعملني (تجعلني والياً)؟ قال: فضرب بيده على منكبي، ثم قال: ﴿يا أبا ذرٍّ إنَّك ضعيفٌ وإنَّها أمانةٌ وإنَّها يومَ القيامةِ خِزيٌ وندامةٌ إلَّا من أخذها بحقِّها وأدَّى الَّذي عليه فيها﴾ [٢٥]. وفي اليرموك نظر خالد بن الوليد إلى جيش الروم، وعرف أسلوبه في القتال، وأدرك أن المسلمين بأسلوبهم التقليدي لن يستطيعوا مقاومته، فطلب من رؤساء الجند أن يمكنوه من القيادة أول المعركة. فلما تولاها أدار الحرب على نحو جديد وتساقطت فرق الروم وَفق الخطة التي رسمها فلم تقم للروم قائمة بعدها. وكذلك طلب يوسف الصديق أن يكون على خزائن الأرض، فكانت ولايته بركة عامة. فإذا كنت أهلا للقيادة كخالد ويوسف فاطلب القيادة، على أن تكون تكليفاً لا تشريفاً، وأن تجعلها عبودية لله وحدَه.

---

[٢٥] صحيح مسلم، برقم ١٨٢٥.

- أوصى أبو بكر عمر، رضي الله عنهما، لمّا رشحه للخلافة فقال:

«... إني أدعوك لأمر متعب لمن وليه، فاتق الله يا عمر بطاعته وأطعه بتقواه، فإن التقي آمن محفوظ، ثم إن الأمر معروض لا يستوجبه إلا من عمل به، فمن أمر بالحق وعمل بالباطل، وأمر بالمعروف وعمل بالمنكر يوشك أن تنقطع أمنيّته وأن يحبط عمله، فإن أنت وليت عليهم أمرهم فإن استطعت أن تُجف يدك من دمائهم، وأن تُضمر بطنك من أموالهم وأن تُجف لسانك من أعراضهم فافعل، ولا قوة إلا بالله...».

- إنه قد يكون من كبائر الإثم أن تدخل على مدير جائر أو جاهل فتثني عليه، وتتزلف إليه لمأرب خاص! إن ذلك ذنب معقد يجمع بين الكذب والغش وإيذاء الأمة وإضاعة المصلحة العامة، وقد نهى الشارع عنه نهياً شديداً.

- إن المجتمع النظيف كالشارع النظيف لا ترى فيه قمامة ولا أذى.

- إن من مزق الأستار التي لفته بها الأقدار مَهَّدَ لنفسه طريقاً إلى النار.

- لماذا يبقى في النفس قذر؟ إن الإسراع بالطهارة أولى وأجدى.

ـ إن الفضيحة عقبة أمام التوبة، فمن وقع في معصية وجب عليه أن يكتمها وأن يدفنها في مكانها ولا يُعلمَ بها أحداً.

ـ إنني عندما أحضر درساً أتعب فيه، فإذا أعدته كان عليَّ سهلاً، فلماذا يتهم صاحب الخَلق الأول بالعجز عن الخَلق الثاني:

﴿نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ﴾[٢٦]، ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾[٢٧].

ـ من صنع البويضة في رحم أمك؟ ومن وضع الحيوان المنوي الذي اخترقها واستقر فيها؟ إن كلاً من أبويك لا يدري شيئاً! وتجيء أنت يا ملحد تزعُم الإلحاد؟!

ـ إن من السقوط أن تلين لمن يريد قهرك ويحط قدرك ويحقر دينك ويحاول فتنتك ﴿إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ﴾[٢٨]:

ذَلَّ مَن يَغبِطُ الذَلِيلَ بِعَيشٍ رُبَّ عَيشٍ أَخَفُّ مِنهُ الحِمامُ[٢٩]

---

[٢٦] سورة الواقعة: ٥٧.
[٢٧] سورة الروم: ٢٧.
[٢٨] سورة الممتحنة: ٢.
[٢٩] البيت للمتنبي.

ـ إن الله يحب العدل، فأين العدل في استضعاف المسلمين على النحو الأثيم؟ إن استنهاض الهمم عالمياً لتغيير هذه الأوضاع عبادةٌ لله، وإنصاف للبشر، واحترام للإنسانية.

ـ إذا أحببت جائراً لنفع يعود عليك، أو كرهت عادلاً لطمع لم يسقه إليك فاتهم إيمانك؟!

مـقـالــة

ـ حدث في معاهدة الحديبية، عندما أملى المشركون شروطهم على المسلمين، أن فرضوا هذا البند الغريب: «من ترك مكة مسلماً لم يجز لأهل المدينة أن يستقبلوه مهاجراً معهم، ومن ترك المدينة مرتداً فلأهل مكة أن يؤمّنوه ويطمئنوه. وقد قبل الرسول ﷺ هذه الجاهلية المتكبرة، وشاء الله أن يكون أهل مكة أول من يكوى بنارها ويسعى لإلغائها، لكن بعض النساء في مكة شرح الله صدورهن للإسلام فأين يذهبن؟ لقد نزّل الوحي إذناً بقَبولهن في المدينة فلا مساغ لتشريدهن في الأرض ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا

جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ ۖ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ ۖ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ﴾[٣٠].

ونلاحظ أن المسلمين أمروا بتعويض المشركين الذين آمنت نساؤهم، كما أن هناك نساءً لحقن بأهل مكة مرتداتٍ، فقال الله تعالى: ﴿وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ وَاسْأَلُوا مَا أَنفَقْتُمْ وَلْيَسْأَلُوا مَا أَنفَقُوا ۚ ذَٰلِكُمْ حُكْمُ اللَّهِ ۖ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ﴾[٣١].

وهذه تنظيمات عادلة تدل على روح الدين، ولم يطل بها عهدٌ، فسرعان ما فتحت مكة ودُكت معاقلُ الوثنية وبُنيت الأسَر المسلمة على التوحيد الخالص...

- إن الإنسانية كلها أمام موعدين: «قريب متعجل، ومتراخ متمهل... إنها أمام الموت الذي لا يطول غيابه، ثم هي أمام الساعة التي لا بد منها وإن طالت الأيام».

- إن التدين السطحي يكاد ينتشر بيننا، ترى الرجل يتشبث برأي فروع الفقه لا يقدم ولا يؤخر، ويحسب أنه ملك دون غيره مفاتيح الجنة، وينظر إلى الناس مِن عَلُ ويعاملهم بجفاء!! فيعظ القرآن

---

[٣٠] سورة الممتحنة: ١٠.
[٣١] المصدر السابق نفسه.

هؤلاء ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾[٣٢].

- إن التواضع والرحمة يزرعان القبول والحب. أما العجب والفظاظة فلا يثمران إلا الخصام والقتال!

- إنّ تعلقنا بمتاع الدنيا شديد، أما تعلقنا بالآخرة فوهمٌ، وعلومنا الأرضية تتذبذب عند درجة الصفر، وكيف يسود الأرضَ من لا يعي شيئاً من قوانينها؟!

- إن الإسلام يُنزل الناس منازلهم وفق الإيمان والعلم، ففي صفوف الصلاة يقول الرسول ﷺ: ﴿لِيَلِنِي مِنكُمْ، أُولو الأحْلامِ والنُّهَى﴾[٣٣]، وفي (شأن) المجالس العامة يقول الله تعالى: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾[٣٤].

- في مجتمع يختلط فيه المؤمنون والمنافقون والمشركون والكتابيون، وتشتبك فيه المصالح المادية والأدبية، تمتحن المبادئ

---

[٣٢] سورة الحديد: ١٦.
[٣٣] صحيح مسلم، برقم ٤٣٢.
[٣٤] سورة المجادلة: ١١.

امتحاناً قاسياً، وقد يقدم الرجل قرابته أو تجارته أو منصبه الوظيفي على مذهبه أو رأيه، وذلك ما جعل الشاعر يقول قديماً لواحد من المتلونين:

فإما أن تكونَ أخي بصدقٍ فأعرفَ منك غثي من سميني

وإلا فاطّرِحْني واتخذني عدواً أتقيك وتتّقيني[٣٥]

والنفاق داء خبيث شديد الخطر، ومن أيسر الأمور على المنافق أن يحلف كاذباً...

ـ إن علم الساعة عند الله وحدَه، وماذا ينفعنا العلم بها إذا لم نستعدَّ لها؟ إن الوجود موصول، والموت فاصل خفيف بين الوجودين الأول والأخير، وسنعرف قيمة الدنيا يوم اللقاء ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا﴾[٣٦].

ـ لقد قيل: إن الأحجار في طريق الكسالى عوائق، وفي طريق الناشطين سلالم: الأولون ينكصون، والآخرون يصعدون. والكريم إذا وفد عليه ضيوف أكرم نُزلهم، وأجزل عطاءَهم، فأين كان أهل

---

[٣٥] البيتان للمثقب العبدي.
[٣٦] سورة النازعات: ٤٦.

الجنة ينزلون بعد عودتهم إلى الله؟ إن أقل ما يقدم لهم هو أعلى وأغلى ما كان ملوك الأرض يتمتعون به. ونحن علِمنا أن في الجنة ما لا عينٌ رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر...

مقالــة

ـ لقد ظهرت أجيالٌ في الأمة الإسلامية جحدت طاقتها ولاذت بالقعود والكسل، ففقدت حاضرها ومستقبلها جميعاً؛ لأنها استحمقت في فهم القضاء والقدر واعتنقت خرافة الجبر، واعتمدت الثرثرة في تسويغ فشلها وعجزها، ومع ضرورة العطاء والصدق والتقوى لا بد من ابتغاء وجه الله وتجريد النية من كل شائبة، وهذا ـ أحياناً ـ مطلبٌ عسير، (فأكثر)[٣٧] الناس يعبُدون المال والجاه، ويدور (الواحد منهم) حول نفسه وأمجاده ومآربه، ويخيل إليّ أحياناً أن الرياء محور النشاط البشري، وأن الإخلاص أندر من الكبريت الأحمر، كما يقولون، ﴿الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّىٰ ۞ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰ ۞ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَىٰ ۞

[٣٧] في الأصل (أغلب).

وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ﴾[٣٨]. ولو خلّص العمل من حب الدنيا وقارنه طلب الآخرة لنجت الدنيا من فتن رهيبة، وانطفأت حروب مدمرة، واجتمعت أحزاب متفرقة، وانتظمت صفوف مختلة. نسأل الله أن يأخذ بنواصينا إلى ما يرضى.

ـ الدأب على الجهاد والإقبال على الله وصية من الله تعالى إلى نبيه ﷺ، والوصية إلى النبي ﷺ إنما هي وصية إلى أمته. إن المؤمن إذا انتهى من واجب نهض إلى غيره، ولا مكان في حياته للفتور ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ۝ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَب﴾[٣٩]. إن الدين، الذي جاء به النبي ﷺ، إذا أخبر صدق، وإذا حكم عدل. والعالم ـ ولا سيما في عصرنا ـ في حاجة إلى الصدق والعدل، فإن الهراء والجور يطردان الحق والعدل ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ ۚ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾[٤٠]، والدعاة وراء إمامهم خاتم الأنبياء ﷺ، ينبغي أن يعوا ذلك.

ـ إن الذين يألفون الدنايا ويعيشون كالحشرات في السراديب والحفر لا تفتح لهم أبواب السماء، إنهم لم يحاولوا التسامي فكيف يرتفعون؟

---

[٣٨] سورة الليل: ١٨-٢٠.
[٣٩] سورة الشرح: ٧،٨.
[٤٠] سورة الأنعام: ١١٥.

أما الذين يتحملون تكاليف التقوى ومشقات التزكية، وأما الذين يساندون الحق ويصابرون أعباءه فلهم شأن آخر...

- إن الدين علم مقطوع به، والوحي حصانة للعقل وضمانة لأحكامه، وما خالف العقل لا يكون ديناً، إن الإسلام نزل ليرسم طريق الإحسان للبشر، والقرآن مِنهاج الاستقامة أو معراج الرفعة فمن شاء أحسن، ومن شاء أساء.

- إن حقوق النعمة كبيرة، وحرام على من استمتع بها ألا يقدرها قدرها، وألا يدفع لها ثمنها، وحال كثير منا اليوم جحود النعم من غير تقدير صاحبها، كما يقول الأب الغاضب لابنه العاق: «أنا - أيها الخائن - أُهان؟! أنا يُنسى أمري ويُهدر حقي، أيها العاق الخؤون»؟!

- إنني عرفت الله بعقلي، بعدما نظرت في نفسي وفي آفاق العالم الذي يضمني وسائر البشر. إن العقل أثمن ما وهب الله للناس. والإيمان الذي يقوم على تخدير العقل أو تمويته لا وزن له ولا خير فيه، ولكنّ أناساً كثيرين يُنحّون العقل جانباً ثم يتكلمون! فكيف نسمع لهم؟!

ـ النفاق من أخس الصفات، وهو ازدواج في الشعور والسلوك، يبدأ بأن يكون المرء ذا وجهين، ولا يزال ينمو حتى يكون صاحبه كالحرباء التي تصطبغ بألوان شتى، بحسب الوسط الذي تكون فيه.

ـ إن معرفة الله لا تكفي، إذ لا بد من أداء حقوقه في السراء والضراء. إن بعض الناس ينتمون إلى الله ويتمتعون بآلائه ولكنهم يُشغلون بها عنه ويَحيون لأنفسهم وحدها. وقد رأينا أناساً من هذا الصنف، بل إن انتشار الكفر في الأرض يعود لمسالك أقوام أنزل عليهم الوحي فلم يتجردوا له ويقوموا بحقه...

ـ إن السنوات الستين التي قضاها سيدنا محمد ﷺ في الدنيا لم تكن لإصلاح عصر معين، بل كانت صوناً لعقيدة التوحيد على امتداد الزمان والمكان، وإعداداً للرجال الذين يحرسونها بعده إلى آخر الدهر...

ـ إن الجهاد الاقتصادي والعسكري لا بد منهما لحراسة الأمة وأدائها الرسالة. إن أعداء الحق يرقبوننا بحقد، فإن وجدوا ثغرة نفذوا منها إلى صميمنا، وهنا الطامة التي تطيح بالحق وأهله.

ـ المؤمن إذا وقع في الخطأ كان عليه همٌّ ثقيل، وضاقت عليه الأرض بما رحبت، ذلك بأن الإيمان باعث حثيث على التسامي وزاجر موجع عن الإسفاف، والذي يلوم نفسه على ما بدر منها لا يألف النقائص، بل سرعان ما يتجاوزها إلى عالم أزكى. وقد أقسم الله بالنفس اللوامة، لِما وقر فيها من إيمان بالله واليوم الآخر. أما النفوس والمجتمعات التي لا تعرف الله ولا تنتظر لقاءه فهي لا تكترث برذيلةٍ ولا تَوجَل من يوم الحساب؛ لأنه ـ في نظرها ـ وهمٌ.

ـ مر ركب مسرع ببعض المقابر، فقال أحدهم لصديقه: أتدري ما تقول هذه القبور عنا؟ فقال: ماذا تقول؟ أجاب: تقول كما أنتم كذا كنا، كما نحن تكونون. وربما يتساءل كل منا عن نفسه قائلاً: ماذا كنت قبل مئة عام، وماذا كان أكثر الجيل الذي أعيش فيه؟

إنه لن يجد أحدنا رداً أصدق من قوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا﴾[٤١]. نعم إننا لم نكن شيئاً، ثم خلقنا الله نسمع ونبصر، ثم استعادنا إليه وخلت الأرض منا...

---

[٤١] سورة الإنسان: ١.

- إن الهواء أساس الحياة البشرية، سواء أوقف ساكناً أم هب عليلاً أم اشتد عاصفاً، وربما تساءل كل واحد منا عن الهواء الذي يملأ رئتينا زفيراً وشهيقاً هل يبقى في بلدنا أم ينتقل ريحاً بين شرق الدنيا وغربها، ويمر في حركته الدائمة بصدور أخرى؟! إننا موقنون بأننا نشرب الشاي من شرق آسيا، ونشرب ماء النيل من أعماق المحيط الهندي. وعندما نتأمل في آلاء الله نشعر بأن الكون كله يشترك في خدمتنا، ولكن ﴿ قُتِلَ الْإِنسَانُ مَا أَكْفَرَهُ﴾[٤٢]. إنه عندما يهدأ الجو نشعر بالهواء لطيفاً، وعندما يثور في بعض الأقطار نراه يقصف الأشجار، ويقذف السيارات من مكان إلى آخر، وهو يبعثر السحب هنا وهناك ويفرقها لتهميَ بالغيث حيث شاء الله...

- لقد وُوجِه المسلمون بجمهرة من الماديين الغلاظ يحتقرون العبادة ولا يتصورون جوها، وهم اليوم يواجهون الصنف نفسه مستكبراً برقيه الصناعي وتفوقه العسكري. ويجب علينا أن نصبر على هذه المواجهة وندفع ثمنها: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا ۚ إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ﴾[٤٣].

---

[٤٢] سورة عبس: ١٧.
[٤٣] سورة السجدة: ٢٢.

إن القيادة لا تتم لأهلها إلا إذا جمعوا بين الصبر واليقين.

إن التدين الجاهل يحسب التخلف في الدنيا أمارة على التقدم في الآخرة...

ـ عندما تزول النعمة تذهب الوحدة والصحة والأمن، وتجيء أضداد هذه الأحوال، وأصحابها لها أهل، وما نزل بهم عدل، لأنهم ﴿فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾[٤٤].

ـ هناك من يحبون لف الناس حولهم، وخفق الأقدام وراءهم، على نحو ما قال الشاعر:

ترى الناسَ ما سِرنا يسيرون خلفَنا
وإنْ نحنُ أومأنا إلى الناسِ وقَّفوا[٤٥]

وهناك من يعشق أن يكون ذليلاً، ولا يحسن إلا الجري وراء الكُبراء، وتعمل عناصر الغنى والفقر والقوة والضعف عملها في

---

[٤٤] سورة سبأ:١٩.

[٤٥] البيت لجميل بثينة، وقد أغار عليه الفرزدق، ذكر صاحب الأغاني أن الفرزدق قدم إلى المدينة، فمرّ بجماعة من الناس قد وقفوا على جميل بثينة وهو ينشدهم شعره، فوصل إلى هذا البيت، فصاح به: «أنا أحقّ بهذا البيت منك»، ثم أدخله في شعره.

إحكام الخطط التي ينفذها هؤلاء جميعاً، ونلمح مثلاً لذلك في علاقة السحرة بفرعون: ﴿وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ ۞ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾[٤٦].

والذي يتفرس في مسيرة الأحزاب المناوئة للإيمان قديماً وحديثاً يجدها تتحرك على هذا المحور: إغراء، وطمع، ونداء الحاجة!

ـ من رفض الانقياد لأمر الله ورسوله فهو بين الضلال والغضب لا أمل له ولا خير فيه.

ـ الإسلام هو العلاقة العقلية الوحيدة بين الكائنات وربها، وبين الناس وخالقهم... أليس من حق الموجد الأعلى أن ترنوَ إليه الموجودات عابدة خاشعة؟ إن لم يكن الإسلام لله ديناً، فهل التمرد عليه هو الدين؟

ـ ينبغي ألّا يكون حفظ السورة أحرفاً وأنغاماً، وإنما يكون حفظها إلهاماً وأحكاماً، ونوراً وفرقاناً، وهكذا تبنى الأمم.

ـ إن الغنى المفرط ونسيان الله قد يطيشان بالأفراد والجماعات.

---

[٤٦] سورة الشعراء: ٤١،٤٢.

ـ إن النجاة عقيدة أساسها ﴿اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾[٤٧]، ثم تربية تقر الطبائع البشرية في حدود الطهر، وتكره الإفراط والتفريط، وتجعل البصر بالحياة الدنيا بصيرة تهدي للحياة الآخرة وتمضي على الصراط المستقيم.

ـ إن الله إذا أراد كانت الأسباب طوع أمره، وهو يخلق ما يشاء ويفعل ما يشاء.

ـ إن انتصار المؤمنين يحتاج إلى أمرين: صدق النية، وحسن الأداء. ولا يغني أحد الأمرين عن الآخَر. والمسلمون فقراء إلى معرفة الأمر الثاني وتوكيده، فإن بعضهم يتخيل أن الصلاح وحده يحقق النتيجة المرجوة، وكأن الملائكة ستنزل لجبر القصور في إعداد المؤمنين للمعركة أو سوء خوضهم لها، وهذا بعيد.

ـ ابذُل ما لديك كله إيماناً واضحاً وعملاً صالحاً، وإخلاصاً ومهارة، ثم ارتقب الخير، ولو كانت قواك أقل، فقد بذلت ما تملك ولن يخذلك الله بعدئذٍ.

---

[٤٧] سورة آل عمران: ٢.

من المآسي أن تشتغل الدهماء بشؤون الدولة الكبرى، وأن تبدي رأيها في ما لا تعرف له رأساً من ذنب... فهناك من يتحدث في الفقه ولا فقه له، ومن يفتي في قضايا الحرب والسلام ولا رأي له، ومن يريد إصلاح العالم وهو عاجز عن إصلاح بيته. لماذا لا نترك الأمور لأربابها؟ ولماذا تبعثر الشؤون الحربية والمالية في كل مكان:

يـا بـاريَ الـقـوسِ بـريـاً لـيـس يُحـسـنُـه
لا تظـلِمِ الـقـوسَ أعـطِ الـقـوسَ باريـهـا[٤٨]

من الخير أن نحترم ذوي الاختصاص، وأن نقف عند حدود علمنا. والأمم الكبيرة تحترم ذوي الاختصاص، وتوفر لهم الجو الذي ينتجون فيه، فإهانة هؤلاء تضر المجتمع كله.

وماذا على أفراد الجمهور لو أتقنوا ما يوكل إليهم، وتركوا لغيرهم ما يحسنون؟

لا يصلح الناسُ فوضى لا سَراةَ لهم ولا سراةَ إذا جُهّالُهم سادوا[٤٩]

---

[٤٨] البيت للحطيئة.
[٤٩] البيت للأفوه الأودي.

وفي الحديث: ﴿ليس منا من لم يوقر كبيرنا ويرحم صغيرنا ويعرف لعالمنا حقه﴾[٥٠].

ـ إن قوله تعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا﴾[٥١]، لا بأس أن تكون في سائر التحيات المتبادلة.

ـ إن خزائن الله لا تنفَد، فلا تسِئ الظن بالمستقبل إن فاتك الحاضر، وتشبّث بالتقوى والطاعة: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ...﴾[٥٢].

ـ إن المتفرس في ملامح الاستعمار الحديث يراه جامعاً بين إلحاد الفكر وظلم الشعوب، أو بين كراهية الإسلام وإذلال أتباعه.

ـ الفاشل يظن إذا قتل الناجح يستفيد قوة جديدة، وهذا مستحيل، فإنك لن تبنيَ نفسَك بهدم غيرك، ستظل كما أنت.

ـ إن الصلاح جهد إيجابي في تقوية النفس وتزكيتها، وليس قدرة على العدوان ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾[٥٣].

---

٥٠ صحيح الجامع، برقم ٥٤٤٣.
٥١ سورة النساء: ٨٦.
٥٢ سورة النساء: ١٣١.
٥٣ سورة المائدة: ٢٧.

ـ إن ابن آدم الفاشل إنما ضاع لفراغ قلبه من التقوى، فعلى أهل الإيمان أن يتجنبوا ذلك المصير ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[٥٤].

والوسيلة المطلوبة هي الأعمال الصالحة. والعمل الصالح يحتاج في أدائه إلى عزيمة تقهر العقبات، وتسترخص النفس والنفيس، وهذا هو الجهاد المؤدي إلى الفلاح.

ـ إن المسلمين يشتبكون في حروب أعدائهم، وينبغي أن تكون جبهتهم الداخلية متماسكة لا ثغرة فيها.

ـ من خصائص هذا الدين الحق أنه يتجاوز عن الخطأ العابر ويتشدد مع الشذوذ الفاجر.

ـ الناس عادة يسكتون على المعاصي فراراً من تبعات النصح، ويسكتون عن الظالمين، وربما تملقوهم، حرصاً على الدنيا ومنافعها.

ـ إن السلوك الراشد ينبثق من إيمان صحيح.

---

[٥٤] سورة المائدة: ٣٥.

ـ إنه ما يصد الأوربيين والأمريكيين الذين يبحثون عن الحق عن الدخول في الإسلام إلا الحال المزرية التي عليها المسلمون، فالمسلمون بلا شك صورة سيئة منفرة عن دينهم...

ـ ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ۗ انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ۝ وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ ۚ قُل لَّسْتُ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ۝ لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ ۚ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾[٥٥].

نعم إن الحليم قد تطول أناته، ولكنه عندما يضرِب يوجع ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾[٥٦].

ـ المحزن أن عالمنا المعاصر مفتون بإنسانية هابطة أو علمانية تشده إلى التراب وتربطه بنزعاته، وقلما ترفعه إلى السماء من حيث جاء...

ـ لأن يقف المسلم مصلياً في لباس حسن معطّر بالطيب خير من أن يقف مصلياً في لباس زري يفرز رائحة تنفِر منها الملائكة، ولكن المجانب له مرغمٌ على الصبر، ومن هنا جاءت الآية:

---

[٥٥] سورة الأنعام: ٦٥-٦٦-٦٧.
[٥٦] سورة هود: ١٠٢.

يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا ۚ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾[٥٧].

وفي الحديث: ﴿كُلوا واشرَبوا وتَصدَّقوا والْبَسوا ما لم يخالِطْهُ إسرافٌ أو مَخيَلَةٌ﴾[٥٨].

والواقع أن الرذيلة تكمن في الإسراف الذي يحمل على التوسع الممجوج في الطعام والكساء، وعلى التماس الوجاهة بهذا السلوك.

ـ إن طاعة الله ورسوله لا بد منها لإحراز النصر ودوامه. وإذا كان أعداء الإسلام يعصون رباً لا يعرفونه ولا يوقرونه فحري بالمسلمين أن يلزموا الطاعة ويحذروا المخالفة، وأن يتقوا النار التي أعدت للكافرين. وقد كان عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، يوصي جنده وهم يقاتلون الفرس بالبعد عن المعاصي، ويقول لهم: إنه لا يخاف عليهم كيد عدوهم قدْرَ ما يخاف عليهم تسللَ المعاصي إليهم، فإنهم إذا استووا والكفار في المعصية وكَلهم الله إلى أنفسهم، وهم أقل عدداً وأضعف عدة، فتحيق الهزيمة بهم.

---

[٥٧] سورة الأعراف: ٣١.
[٥٨] مسند أحمد بن حنبل، برقم ٦٦٩٥.

إني أستشعر الأسى عندما أرى أخلاقنا أضعفَ من عدونا، ومسالكنا أردأ، فأنى ننتصر؟ إن المسلمين اليوم خمس العالم، وأرضهم مستنقع لجراثيم الفرقة كلها، فهم سبعون حزباً بأسهم بينهم شديد... على حين ترى اليهود ـ وهم عُشْر معشارهم ـ قد وحدوا صفهم... وخططوا للمسجد الأقصى، ونحن مشغولون بأنفسنا وقضايانا، فذهبت ريحنا وفُلّ حديدُنا...

ـ إن أيام النعمة تدوم يوم يكون حارسها قائماً عليها، هذا الحارس هو الشكر العملي قولاً وفعلاً: إيماناً واضحاً، وعملاً صالحاً: لا ظلم، لا تكبر، لا استبداد، لا عُجب... لا فخامة... لا إصرار على المعصية، لا تمثيلاً على الله وعلى خلقه، نعبده داخل بلادنا، ونحاربه خارج بلادنا... نتحجب في الداخل، ونخلع الحجاب في الخارج... إن أيام النعمة لم تزد هؤلاء إلا عتواً وصلفاً ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ﴾[٥٩]، وهذا ضعف في الاقتصاد... وكل أولئك عقوبة من الله لهم؛ لأنهم لم يرعَوا لله حقاً ولم يقدروا النعم حق قدرها...

---

[٥٩] سورة النساء: ١١٢.

ـ إن عدد المسلمين اليوم يماثل عدد أهل الصين؛ نحو مليار ومئتي مليون إنسان، فهل الأخوّة الإسلامية تربط بين المسلمين كما تربط القومية الصينية بين الصينيين، الذين تمثلهم دولة واحدة لها صوت واحد في مجلس الأمن إذا اعترض قراراً وقفه، وواجه الدنيا بموقف حاسم؟

والغريب أننا الأمة التي يجب أن تدور أمورها على محور واحد، ولكن تقطعت في الأرض أمماً، منهم الصالحون ومنهم دون ذلك، وهي تضم الآن نحو سبعين جنسية، لكل جنسية رايتها المميزة، فهل تتساند في نصرة قضاياها أم تتخاذل؟ إن المسلمين في هيئة الأمم المتحدة أضيع من الأيتام في مأدبة اللئام...

إنه لا حل لمشكلاتنا إلا بإعادة الإيمان إلى مكانته في أوضاعنا المحلية والعالمية على حد سواء...

حـوار الأديـان

ـ ماذا نستفيد من سورة التوبة؟

نستفيد أمرين: أولهما: أن الإسلام كان صديقاً للنصارى، وأن ﷺ أمر المستضعفين بالهجرة إلى الحبشة في جوار ملك لا يضامونه

في سلطانه، وأن النبي محمداً ﷺ كان صاحب الصوت الوحيد على ظهر الأرض بأن الروم سوف ينتصرون على الفرس مرة أخرى بعد هزيمتهم الهائلة التي مُنوا بها والتي حزن المسلمون لها...

وثانيهما: أنه مع هذه الصداقة للشعوب النصرانية كان الإسلام واضحاً كل الوضوح في إنكار التثليث ورفض ألوهية عيسى وجبريل، واعتبارهما عبدين صالحين. وقد تتابع الوحي في مكة والمدينة، يؤكد هذه الحقيقة.

ـ تمر بالإنسان أيام عصيبة يشعر فيها بالألم والعجز، ويحس أن الأزمات أخذت بخناقه، وأنها إذا بقيت فهي قاضية عليه، فيهرع إلى الله طالباً النجدة، ملتمساً الفرج، ويدعو ويلح... وتنكشف الكروب آخر الأمر، فهل تبقى مع المرء حرارة إيمانه وصدق تطلعه إلى ربه؟ أم تفتر حرارته وينسى؟

يقول الله تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُ ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[٦٠].

---

[٦٠] سورة يونس: ١٢.

إن هذا مسلك ينطوي على خسة، والواجب أن يتذكر الإنسان من أنقذه في شدته، وامتن عليه بفَرَجِه، وأن يتشبث به في السراء، كما كان يتشبث به في الضراء.

إن إخراج أمة ما من الظلمة لا يتم بين عشية وضحاها. إنه يحتاج إلى زمان طويل، وقد مكث سيدنا رسول الله ﷺ ثلاثاً وعشرين سنة يتعهد العرب بالقرآن الكريم، حتى محا بداوتَهم وجهالتهم وتخلفهم العلمي والحضاري، وأمسَوا أهلاً لصدارة العالم وقيادته.

إن القرآن الكريم نقلهم نقلة فسيحة: ثقافياً وسياسياً وعقلياً وخلقياً، فلما اشتبكوا مع أعداء الله رجحت كِفتهم عن جدارة واستحقوا التمكين في الأرض.

العلم الإلهي

ـ العلم الإلهي صفحة واحدة، يقترب فيها الأزل من الأبد، والأرض من السماوات، والدقيق من الجليل، وعالم الحشرات والجراثيم من عالم الإنس والجن والطير.

كنت في الطائرة، فرمقت قطعة من الصحراء خيّل إلي أنها تصلح للزراعة، فتساءلت: أتزرع هذه غداً؟ ثم أجبت نفسي: إن كانت

ستزرع فإن الله وحدَه يعلم أيان يجيئها المطر، ويلتف حولها البشر، ويلتقطون منها الثمر: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ ۞ وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ ۚ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾[٦١].

إنني أتابع برامج عالم الحيوان وعالم البحار، وأعجب كيف تتكاثر الأحياء وكيف تتفانى، وكيف يجعل الله طعام طير سارح من دودة ملتصقة بظهر حيوان ضخم يستريح حين يأكلها هذا الطير!

وعالم الإنسان نفسه مثال تفكير عميق. لقد خلق من طينة منتنة ﴿مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾[٦٢].

وعندما يعود إلى التراب بعد انقضاء رحلة العمر ويدفن تحته تكون رائحته أشد إزعاجاً. كأن الناس يتدافنون حتى لا يشمئز بعضهم من بعض. بمَ زكا الإنسان وسمَا؟ ثم كُرِّم ونُعِّم؟ بهذه اللطيفة الربانية التي نفخت فيه، والتي طالما جار عليها وضاق بأوجها!

إن في الإنسان قبساً من نور الله الأسنى، حسده عليه إبليس وكره الاعتراف به، فقرر الانتقام من آدم وبنيه ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۞ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ

---

[٦١] سورة الحجر: ٢٤،٢٥.
[٦٢] سورة الحجر: ٢٦.

الْمُخْلَصِينَ ۞ قَالَ هَٰذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ ۞ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾[٦٣].

افتخار العصاة والكافرين لا قيمة له

ـ ربما كان الكفار والعصاة أوفر حظوظاً في الدنيا وأكثر استمتاعاً بها، فلا قيمة لهذا ولا اعتداد به، فمصيره الهلاك، وقد سبق قول الكافرين مفتخرين بما أوتوا: ﴿أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا ۞ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَاثًا وَرِئْيًا﴾[٦٤]. وقد حكت السنة الشريفة أن عمر، رضي الله عنه، تألم حين رأى عيدان الحصير مطبوعة على جلد رسول الله ﷺ، وهو نائم في فراشه الخشن، وتذكر متعة كسرى وقيصر في الأثاث الفاخر والدنيا العريضة. ولكن النبي ﷺ أفهمه أن هؤلاء قوم عجلت لهم طيباتهم، فلا نأسى عليها ﴿وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾[٦٥]. والأفضل والأشرف أن تنار البيوت بأضواء العبادة وطهرها، وأن يسودها جو التقوى والإقبال على الله، فيخرج أهلها منها وهم يحملون للناس الأدب

---

[٦٣] سورة الحجر: ٣٩ إلى ٤٢.
[٦٤] سورة مريم: ٧٣-٧٤.
[٦٥] سورة طه: ١٣١.

والعفاف، لذلك قال الله لنبيه ﷺ: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ﴾[٦٦]. ورجالات الإسلام لا يتنافسون إلا في المكارم، ولا تصدّر بيوتهم للناس إلا الأسوة الحسنة. والدهماء تشغل نفسها بما ضمن لها من رزق تكاد تموت وراءه من الهم، ولا تكترث بما كلفت به من واجبات وهذا ـ كما قال ابن عطاء الله السكندري ـ من انطماس البصيرة...

المؤمن بالله والمنكر له

ـ لن ينشأ ود بين مؤمن بالله ومنكر له، ولن يلتقيا في نهج أو سيرة، فهل يعني ذلك أن تندلع الحرب بينهما حتماً؟ لا، إن المؤمنين مكلفون بدعوة الجاحدين، وبيان طريق الحق أمامهم. ولا يجوز أن يتجاوزوا الحكمة والموعظة الحسنة، فإن الله اختبر كلا الفريقين بالآخر، ولا يسوغ أن نسقط في هذا الاختبار.

---

[٦٦] سورة طه: ١٣٢.

علينا أن نشرح الحق ونبسط أدلته، ونجعل وجهة نظرنا ساطعة كالشمس، فإن أبَوا الدخول فيها اليوم تركناهم لأيام مقبلة، وكنا في معاملتهم منصفين أبداً.

تلك كانت سيرة سيدنا محمد ﷺ، حتى نصره الله على عدوه...

ـ قد يتطاول المرء فوق قدره، لأن الرزق بسط له، أو لأن جاهه اتسع، وقد كانت قريش شديدة الكبر على الحق لأن رغد العيش أبطرها، حتى دعا الرسول ﷺ عليها: ﴿اللهُمَّ أعنّي عَليهِم بِسَبْعٍ كَسَبْعِ يُوسُفَ﴾[٦٧]، أي سبع سنوات عجاف...

ـ القرآن الكريم: يربط الإيمان بالعمل: ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾[٦٨].

ولن تعود للمسلمين حضارتهم الأولى إلا بالإيمان والعمل معاً...

ـ إن معظم الذين ينظرون إلى سورة النور ينظرون إليها بضيق شديد، لأنها حرمت الزنى والتبرج والانحلال، ولذلك شرحت السورة موقف هؤلاء وبراءة الدين منهم ﴿وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ

---

[٦٧] صحيح البخاري، برقم ٤٨٢٤.
[٦٨] سورة العصر: ٣.

وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَا أُولَٰئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ۞ وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ﴾[٦٩].

حال المسلمين

ـ إن حال المسلمين في هذا العصر رديئة، الهزائم المادية والمعنوية تحيط بهم، ولكن الله فتح أمامهم باب الآمال عندما قال لهم: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ...﴾[٧٠].

على أن هذا التمكين يحتاج إلى مقدمات طويلة، وجهود موصولة، فإن للقيادة والسيادة مؤهلاتٍ لا بد من تحصيلها، ويستحيل أن يتحقق لعاطلٍ عمل. ولننظر ما فعل الرسول ﷺ وصحبه عندما أرادوا إقامة دولة للإيمان. لقد مكثوا نحو ربع قرن يصارعون الوثنية العربية حتى هزموها، ثم جمعوا بالتوحيد فلول العرب،

---

[٦٩] سورة النور: ٤٧-٤٨.
[٧٠] سورة النور: ٥٥.

ومالوا على الرومان والفرس ميلة واحدة، فما هي إلا جولات حتى أصبح المسلمون الدولة الأولى في العالم.

خلال ثلاثين سنة من نزول «اقرأ» تحول رجل واحد إلى أمة رائعة تأخذ لربها ولنفسها ما تريد.

كان يستحيل ـ في الخيال ـ أن تتحول أسرة فقيرة في مكة إلى دولة تبسط سلطانها على العالمين.

ما تلك الوسائل؟ ﴿يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾[٧١].

أهذه وسائل تنهض بها أمة؟ ويسقط بها جبروت حكم العالم كله عشَرة قرون؟ ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ...﴾[٧٢].

وبدهي أن هذه الوسائل لا يفهمها العجزة والبُله، إنما يفهمها ويحشدها رجال فقهوا سياسة الدنيا والآخرة وخرجوا من سلطان الأوهام والدنايا، وارتفعوا إلى سيرة محمد ﷺ وصحابته، رضوان الله عليهم.

---

[٧١] سورة النور: ٥٥.
[٧٢] سورة النور: ٥٧.

ـ إن التدين الفاسد ليس جديراً بالنصر. على أن الأيام دول. عندما يصلح المسلمون شؤونهم يقترب منهم النصر البعيد.

إن أمتنا تمثل في العالم الفوضى السياسية والاقتصادية والاجتماعية، ولا ينصر الله هذه الخلال. وفي سورة الروم آية أحسبها تؤكد أن الإسلام باق إلى آخر الدهر، وأن بقاءه لا محالة بأمة تعتنقه وتفتديه: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ الْبَعْثِ ۖ فَهَٰذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَلَٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ نعم إنها الآية السادسة والخمسون من سورة الروم.

إن هذه الآية تومئ إلى أن أمتنا لن تزول، وأن كبوتها إلى حين، ونحن نعلم أننا آخر الرسالات وآخر الأمم، وليس بعدنا إلا قيام الساعة، هل نلم شملنا ونستأنف سيرنا ونستعيد أمجادنا؟

لعل ذلك يكون نهاية المطاف، وهو يشير إليه آخر سورة الروم، الآية الستين ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ ۖ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾، والصبر هنا على العمل الذي يعقب الثمر، وعلى الجهاد الذي يعقب النصر.

ـ لن يفلح في الآخرة إلا من قدم الإيمان الواضح والعمل الصالح، لأنه قد انتهى أوان البذر، وجاء أوان الحصاد.

ـ إن مشكلة البشرية الآن ليست ترك الصلاة فقط، بل رسم الخطط لإضاعتها: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَىٰ ۞ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰ ۞ أَرَأَيْتَ إِن كَانَ عَلَى الْهُدَىٰ ۞ أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَىٰ﴾[٧٣].

ـ أمام المسلمين خيار بين الظلم والعدل، بين العز والذل، بين الوفاء لله والغدر بعهده: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا ۚ إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ ۚ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۖ وَمَكْرُ أُولَٰئِكَ هُوَ يَبُورُ﴾[٧٤].

ـ يكاد الإجماع ينعقد بين الخبراء بالأديان على أن الإسلام قام على الفكر في الكون والبصر بالحياة، وأنه دعوة حارة إلى التأمل في العالم وتدبر آياته وقواه، وكشف أسراره وقوانينه.

إن التفكر في ذات الله مستحيل، فلم يبق سبيل إلى معرفة عظمته إلا من متابعة آياته في مخلوقاته، وهو دليل لا يكذب على علمه وقدرته وجلاله وجماله. إنه على مسافة خطوات محدودة من

---

[٧٣] سورة العلق: ٩ إلى ١٢.
[٧٤] سورة فاطر:١٠.

الأرض، ترى زروعاً مختلفة الطعوم والألوان والروائح تخرج جميعاً من طينة واحدة، فإذا رُفعت عين إلى السماء وجدتْ شمساً ساطعة وقمراً منيراً ونجوماً مبعثرة في الآفاق على عالم ضخم فخم... وليس هذا كله إلا أثرَ ربٍّ كبير. ومن هذا المنطلق تتلو قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا ۚ وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ۞ وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾[٧٥].

ـ إن الذكر الحسن نعمة يفيئها الله على الصالحين من عباده، يرفع بها قدرهم ويستبقي أجرهم، وقد قيل: «الذكر للإنسان عمر ثان». والمفروض أن المسلم يطلب بعمله وجه ربه، لا وجه بشر، فإذا تقبله الله أحبه ووضع له الحب في القلوب والثناء على الألسنة. وليس ذلك فقط. بل هناك الجزاء الهني: ﴿هَٰذَا ذِكْرٌ ۚ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ ۞ جَنَّاتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ الْأَبْوَابُ ۞ مُتَّكِئِينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ﴾[٧٦].

---

[٧٥] سورة فاطر: ٢٧-٢٨.
[٧٦] سورة ص: ٤٩-٥٠-٥١.

أما أعداء الله وخصوم دعوته فلهم جزاء آخر: ﴿هَٰذَا ۚ وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مَآبٍ ۞ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾[٧٧].

لا تكونوا عوناً للشيطان على أخيكم

حكى ابن كثير قال: «كان رجل ذو بأس من أهل الشام يفد إلى عمر بن الخطاب، فافتقده عمر لما غاب عنه، فقالوا له: يا أمير المؤمنين تتابع الشراب في هذا! فدعا عمر كاتبه، فقال اكتب: من عمر بن الخطاب إلى فلان بن فلان. سلام عليك، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب... ثم قال لأصحابه: ادعوا الله لأخيكم أن يُقبِل بقلبه، ويتوبَ الله عليه.

فلما بلغ الرجلَ كتابُ عمر، جعل يقرؤه ويردده ويقول: غافر الذنب، وقابل التوب، شديد العقاب. قد حذرني عقوبته، ووعدني أن يغفر لي. ولم يزل يرددها على نفسه، ثم بكى، ثم نزع فأحسن النزع. فلما بلغ عمر خبره قال: هكذا، فاصنعوا إذا رأيتم أخاً لكم زل زلة، فسددوه، ووثقوه، (أي لا تجعلوه يفقِد الثقة بنفسه) وادعوا الله له، ولا تكونوا عوناً للشيطان عليه».

---

[٧٧] سورة ص: ٥٥-٥٦.

لقد ذكرت هذه القصة؛ لأنه يوجد في عصرنا مقَنِّطون من رحمة الله، يحسنون إرسال طلقات التقريع والإهانة، وكأن غايتهم إهلاك المرء حين زلت قدمه، على حين يوجد من أعداء المسلمين من يلتقط العاثرين ليخرجهم من الملة، بعد أن يعدهم المغفرة.

ـ إن شكران النعمة دليل بصر سليم وطبيعة مستقيمة، وقد ذكر الله نوحاً فقال: ﴿إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾[٧٨]، وذكر إبراهيم بأنه كان ﴿شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ۚ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[٧٩]، وقال سيدنا محمد ﷺ متحدثاً عن سر اجتهاده في العبادة: ﴿أفلا أكون عبداً شكوراً؟﴾[٨٠]

ـ إن الصدر إذا انشرح أقبل المرء بشغف على العمل، كما قال البوصيري:

وإذا حلت الهداية روحاً نشطتْ للعبادة الأعضاءُ

أما المنحرفون عن الله فهم يستثقلون الصلاة، ويستكثرون الزكاة ويفِرون من الجهاد.

---

[٧٨] سورة الإسراء: ٣.
[٧٩] سورة النحل: ١٢١.
[٨٠] صحيح البخاري، برقم ٤٨٣٦.

ـ لقد فرضت العلاقات العامة نفسها على الناس في عصرنا، فما يستطيع أحد أن يعيش فريداً... كان المثل المضروب قديماً «السلطان من لا يعرف السلطان»، أما الآن فهذا متعذر، فإن من لا يعرف السلطان، سيسعى السلطان إلى معرفته وفرض نفسه عليه!

ومعنى ذلك أنه لا بد من الحوار والأخذ والرد وعرض وجهات النظر، والاعتماد على الدليل في الإقناع والاقتناع، وإعطاء الرأي المعارض حق الحياة مادام مصحوباً بالإخلاص والتجرد، ويضيف الإسلام إلى ذلك دفع السيئة بالحسنة ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ ۚ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ﴾[٨١].

إن عاقبة الأخلاق القبيحة متشابهة وإن تباعدت السنون.

ـ لماذا هلكت عاد؟ ﴿فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً﴾[٨٢].

---

[٨١] سورة المؤمنون: ٩٦.
[٨٢] سورة فصلت: ١٥.

ـ ولماذا هلكت ثمود؟ ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ...﴾[٨٣].

ـ إن دين الله واحد من بدء الخليقة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها. رب تسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهن، وعباد خلقهم الله بقدرته، ورباهم بنعمته، ليس بينهم من يفارقه وصف العبودية، وأقرب إليه منزلة أكثرهم سجوداً، وأشدهم له رغبة ورهبة. وهذا المعنى شاع في القرآن الكريم طولاً وعرضاً، وهو لب دين سيدنا محمد ﷺ.

ـ إننا نرى في عصرنا هذا عجباً، نرى العرب يبتعدون عن الإسلام ويعتزون بقوميتهم ومن تفرس في هذه القومية المزعومة يجد زهداً في الإسلام وفي لغته الفصحى على حد سواء...

ـ عند قيام الساعة يقال للمؤمنين: ﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ﴾[٨٤].

---

[٨٣] سورة فصلت:١٧.
[٨٤] سورة الزخرف: ٧٠.

أما غيرهم فلهم مصير أسود ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ۞ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾[٨٥].

ـ لقد كانوا في الدنيا يكيدون للحق ويمكرون بأهله، فماذا جنَوا؟ ﴿أَمْ أَبْرَمُوا أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ﴾[٨٦]. ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ۞ وَأَكِيدُ كَيْدًا ۞ فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا﴾[٨٧].

ـ إن الإسلام ضنين بالخسائر في الأرواح من الفريقين. لو أحصي القتلى منذ بدأ الإسلام دعوته إلى أن أقام دولته لكانت أقل كثيراً جداً من القتلى الذين سقطوا في مذبحة «سان بارثليموا»[٨٨] في ليلة واحدة بين الكاتوليك والبروتستانت. ولكن ديننا مبتلى بالأفاكين ومروّجي الشائعات الفاجرة!!

---

[٨٥] سورة الزخرف: ٧٤-٧٥.

[٨٦] سورة الزخرف: ٧٩.

[٨٧] سورة الطارق: ١٥-١٦-١٧.

[٨٨] مذبحة يوم القديس بارتولوميو في فرنسا عام ١٥٧٢، وكانت الكنيسة الكاثوليكية متواطئة ومشاركة فيها، ففي يوم ٢٤ آب (أغسطس) دقت أجراس الكنائس إشارة للجنود والمتطوعين من الأهالي ببدء الفتك بالبروتستانت ولأنها دقت بوقت أبكر من وقت الصلاة، شعر البروتستانت بالخطر فهرب بعضهم خارج المدينة أو لجؤوا لدى أقاربهم من الكاثوليك إلا أن هؤلاء أيضاً خضعوا للهجوم، ومن لم يستطيعوا الهرب دوهموا في بيوتهم. وقتلوا بكافة أعمارهم. قيل إن الضحايا بلغت ستين الفاً. (موسوعة ويكيبيديا).

ـ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾[٨٩]. إن صريح هذه الآية أن النصر حليف الإسلام في ما مضى وما بقي من هذا الزمان، وأنه حتى تقوم الساعة سوف تبقى راية الإسلام خفاقة، كما جاء في الحديث: ﴿مثَلُ أُمَّتي مثَلُ المطَرِ؛ لا يُدْرَى أوَّلُه خيرٌ أمْ آخِرُه﴾[٩٠].

لكن النصر له مؤهلات لا بد من توفرها في الجيل الذي يحرزه، فمن فقد هذه المؤهلات لم يتحقق له أمل، ولا يلومن إلا نفسه، ولن يضر الله شيئاً.

ـ رب شائعة لا أصل لها أحدثت فتنة ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾[٩١].

كما أن دراسة الأرض والسماء ينبوع دفاق يزيد الإيمان ازدهاراً، ويعرّف الناس بربهم معرفة حسنة، والقرآن الكريم بنى صدق الإيمان على التفكر الذكي في ملكوت الله.

---

[٨٩] سورة الفتح: ٢٨.
[٩٠] سنن الترمذي، برقم ٢٨٦٩.
[٩١] سورة الحجرات: ٦.

إن الذين خالطوا الأنبياء واستفادوا منهم تأثروا بهم نفسياً وعقلياً، فكانوا أرقى من غيرهم وأطهر، ولذلك يقول سيدنا رسول الله ﷺ: ﴿خَيْرُكُمْ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ﴾[٩٢].

الإيمان الواضح والعمل الصالح

ـ ما جعل إنسان التوحيد قاعدته ثم انطلق في دروب الحياة مرتبطاً به إلا أحبه الله، وجعل أهل السماء والأرض يحبونه ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَٰنُ وُدًّا﴾[٩٣].

وفي الحديث: قال رسول الله ﷺ:

﴿إن اللهَ سبحانهُ إذا أحَبَّ عَبداً دَعا جِبريلَ فَقَالَ: إنّي أحِبُّ فُلاناً فَأحِبَّهُ، فَيُحِبُّهُ جِبريلُ، ثُم يُنادي في السّماءِ فَيَقولُ: إنَّ اللهَ يُحِبُّ فُلاناً فأحِبّوهُ، فَيُحِبُّهُ أهلُ السَّماءِ، ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ القبولُ في الأرضِ﴾[٩٤].

---

[٩٢] صحيح البخاري، برقم ٦٦٩٥.
[٩٣] سورة مريم: ٩٦.
[٩٤] متفق عليه. انظر اللؤلؤ والمرجان ص ٧١٣ رقم ١٦٩٢ كتاب «البر والصلة والأدب» باب «إذا أحب الله عبداً حببه لعباده».

قال أحد الصالحين: ما أقبل عبد على الله بقلبه إلا أقبل الله بقلوب المؤمنين إليه، حتى يرزقه مودتهم: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُّدًّا﴾[٩٥].

منهج الحياة: ﴿وَلَا تَكُن لِّلْخَائِنِينَ خَصِيمًا﴾[٩٦].

ـ ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ۝ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ﴾[٩٧].

رسالة المسلمين

ـ علينا نحن ـ المسلمين ـ أن نعرف رسالتنا بين الناس. إننا لم نخلق لننظر إليهم من أعلى. إننا أصحاب رسالة كلفنا بشرحها بالأدب والحكمة والرحمة والحب، وأخشى أن يكون فشلنا في صبغ العالم بها يرجِع إلى سوء عرضنا وفشل أسلوبنا:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾[٩٨].

---

[٩٥] سورة مريم: ٩٧.
[٩٦] سورة النساء: ١٠٥.
[٩٧] سورة الحجر: ٩٧، ٩٨.
[٩٨] سورة الحجرات: ١٣.

إنّ فرقاً كبيراً بين نموذجين من المسلمين اليوم: نموذج لأقوام ورثوا الإسلام عنواناً ولم يحملوه موضوعاً، فكانت قلوبهم خالية من اليقين، وكانت أعمالهم بعيدة من الصلاح.

ونموذج لأقوام حملوه شِرعة ومِنهاجاً، فكانت أفئدتهم مغمورة باليقين، وكانت أعمالهم تترجم فهمهم الإسلام العميق وصلاحهم الشديد.

والحق أننا في هذا العصر نجد من عامة المسلمين وخاصتهم من يشبهون أعراب الأمس البعيد ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَٰكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾[٩٩].

نعم إن هؤلاء ينتمون إلى الإسلام، لكنهم لا يلبون له نداء، أو يؤازرونه في محنة.

إن السورة التي نقرؤها إذا لم تتحول في سلوكنا إلى خلق وعبادة ومنهج حياة فإن نقصاً فينا ينبغي أن نعالجه...

ـ إن القرآن نعمة عظمى على كل من درسه وفقّه الناس فيه: ﴿خَيْرُكُمْ مَن تَعَلَّمَ القُرْآنَ وعَلَّمَهُ﴾[١٠٠].

---

[٩٩] سورة الحجرات: ١٤.

[١٠٠] صحيح البخاري، برقم ٥٠٢٧.

ـ إن حقوق النعمة كبيرة، وحرام على من استمتع بها ألا يقدرها قدرها وألا يدفع ثمنها.

ـ الإيمان المقبول أساسُه عرفان الله، ونكران الذات، ورحمة الخلق، ورقة القلب. وهناك قوم ينتمون إلى الإيمان وفي صدورهم صلَف وأثرة، نستغرب قساوة قلوبهم وخشونة جوانبهم!

إن التدين السطحي ينتشر بيننا. ترى الرجل يتشبث برأي في فروع الفقه لا يقدم ولا يؤخر، ويحسب أنه ملك مفاتيح الجنة دون غيره، وينظر إلى الناس من عَلُ، ويعاملهم بجفاء. يعظ القرآن هؤلاء: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾[١٠١].

هذا المرض يحبط أعمال أفراد، ويَحُول بين الأمة الإسلامية وأداء رسالتها. إن التواضع والرحمة يزرعان القبول والحب، أما العُجب والفضاضة فلا يثمران إلا الخصام والقتال.

ـ إن معرفة الله لا تكفي، لابد من أداء حقوقه في السراء والضراء.

---

[١٠١] سورة الحديد: ١٦.

ـ إن بعض الناس ينتمون إلى الله ويتمتعون بنعمته ولكنهم يشغلون بالنعمة عنه سبحانه وتعالى ويحيون لأنفسهم وحدَها...

ـ الغريب أن العلم البشري تقدم كثيراً في نصف القرن الأخير كما لم يتقدم في تاريخ الحياة كلها، ومع ذلك فعلمه بالله ضحل، وكذلك استعداده للقائه!

ـ ليالي هذه الدنيا حبالى تلد كل عجيبة، تكذّب الصادق وتكرّم الكذوب، وترفع الأسافل، والكرامُ يهانون ويزعجون. أما في الآخرة فلا تكذيب لصادق، ولا تكريم لكذوب...

ـ المحزن في عصرنا أن التقدم العلمي يبحث مكانه ولا يريد أن يعرف ما وراءه، ولذلك يستبعد الحديث عن الآخرة ولا يعرض له في مجلس جاد...

ـ لا بد أن يتساءل كل عاقل منا:

ماذا فعلت في أمسك الدابر؟ وماذا قدمت لمستقبلك القادم ولمستقبلك الخالد؟ لأن المسلم يعمل للحياتين معاً.

نعم. إن المرء يمرق إلى أهوائه كالسهم، فإذا كلف بجهاد أو صلاة تقاعس واسترخى... ومستقبل الناس عند ربهم لا تقرره فلتات

اللسان ولا عثرات الطريق، وإنما تقرره مناهج مرسومة وعادات مستحكمة، فالخطأ العابر يوشك لمؤمن أن يطهر منه، وأما البرنامج الموضوع لحياة هابطة فهو أساس الهلاك...

ـ إن الله لا يعطي غنياً المال كي يقول لغيره: ﴿أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالا وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾[١٠٢]، إنما يعطيه ليشارك غيره فيه، ويسارع إلى مواساة المحتاجين وتفريج كرَبِهم. ولم يحرم أحداً المال ليبكيَ على دنيا فاتته أو يحسدَ مَن أوتي شيئاً منه، بل ليصبر ويتربى على العفاف.

ـ إن أهل الإيمان يتعرفون على حاجات الآخرين ويسارعون في قضائها، فالدين مع الضعيف حتى يقوى، ومع الفقير حتى يستغني، ومع اليتيم حتى يكبر ومع الهائم حتى يستقر.

﴿وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ۝ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾[١٠٣].

---

١٠٢ سورة الكهف: ٣٤.
١٠٣ سورة الأنبياء: ٨٩، ٩٠.

ـ إن الإيمان أخو العطاء والعدالة، والشِّرك أخو الأثرة والقسوة، وتدبروا قوله تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ ۝ فَذَٰلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ ۝ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ﴾[١٠٤].

نعم. إن إعانة محتاج شرط في الإيمان كإقامة الصلاة وأدائها بخشوع، وتهدد الله سبحانه بالويل مانع الماعون عن محتاج إليه.

ـ إن توحيد العقائد والمذاهب مستحيل، ومن الخير الاعتراف بتعدد المشارب والنزعات، ومواجهة ذلك بالحكمة والوعي. وقد حكى القرآن الكريم زبدة تاريخ البشر في سورة هود والصراع الشديد بين المؤمنين والكفار على امتداد العصور، ثم قال للنبي الكريم، عليه أفضل الصلوات وأتم التسليم: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ۝ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾[١٠٥].

[١٠٤] سورة الماعون: ١ ـ ٣.
[١٠٥] سورة هود: ١١٨، ١١٩.

المؤلف في سطور

الدكتور يحيى مصري، من مواليد مدينة حلب، أستاذ النحو والصرف في جامع حلب، دكتوراه في النحو والصرف وفقه اللغة، والفقه على المذاهب الأربعة، وتفاسير القرآن الكريم.

مقيم في أمريكا، له عدد من الكتب المنشورة والمخطوطات، أبرزها:

١- تحقيق شرح الرضي لكافية ابن الحاجب، صادر عن جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، بالسعودية.

٢- لغتنا العربية، فرائد وفوائد، صادر عن «منشورات كتاب» بواشنطن.

٣- الشاهد النحوي ووجه الاستشهاد، صادر عن دار عكرمة بدمشق.

٤- هذه كناشتي، اعتنى بنشرها د. أحمد محمد ويس، صادر عن «شرفات للنشر والدراسات».

٥- الوجيز في فقه الخلفاء الراشدين وابن عباس وابن مسعود. (نسخة إلكترونية).

٦- مشكل إعراب القرآن الكريم. (قيد النشر).

النحو القرآني. (قيد النشر).

٧- اللآلي من كلام الغزالي. (قيد النشر).

٨- لآلئ التفسير. (قيد النشر).

٩- المسلمون وغير المسلمين. (قيد النشر).

١٠- مقالات وخاطرات. (قيد النشر).

١١- موضوعات قيمة. (قيد النشر).

للتواصل:

https://www.facebook.com/profile.php?id=100002046860416